الفصل الثاني

قواعد الصحة النفسية للطفل

كيف تجعل طفلك صحيح نفسيًا؟

الفصل الثاني

قواعد الصحة النفسية للطفل
كيف تجعل طفلك صحيح نفسياً؟

ما المقصود بمصطلح الصحة النفسية؟

يشير مصطلح الصحة Health بصفة عامة إلى خلو الشخص من الأمراض وقدرته على القيام بالأدوار المطلوبة ودرجة الوعي الصحي لديه وشعوره بالرضا والسعادة...

وتنتهي الصحة النفسية Psychological Health بشعور الشخص بالرضا والسعادة والقناعة والإيجابية تجاه نفسه وتجاه المحيطين وتجاه المجتمع الذي ينتمي إليه (مدحت أبو النصر: 2002، 2009)..

لقد وصل العلماء إلى أن الصحة النفسية هي مفهوم إيجابي متعدد المستويات يكون فيه الإنسان صحيحاً على المستوى الجسدي ثم على المستوى النفسي ثم على المستوى الاجتماعي، ثم على المستوى الروحي، إذا فهو مفهوم متعدد المستويات لابد أن يكون في حالة توازن ما بين إشباع هذه المستويات وتنشيطها، فلو بالغ أحدهم في إشباع الجانب الجسماني على حساب الجانب النفسي أو على حساب الجانب الروحي، فبالتالي يكون قد أخل بالتوازن، ويصبح غير صحيح نفسياً.

والصحة النفسية للطفل لا تتحقق إلا من خلال أسرة تتمتع هي ذاتها بالصحة النفسية حيث أن فاقد الشيء لا يعطيه، فالأسرة هي الممثل الأساسي للمجتمع في المراحل الأولي للنمو والمسئول الأول عن عملية التنشئة الاجتماعية بما تتضمنه من عملية غرس للقيم والمعايير التوافقية للأبناء وتعليمهم أسس السلوك الصحيحة والمقبولة والتي يرتضيها المجتمع وتدريبهم عليه بطرق سوية مما يسهم في وضع اللبنات الأولي لشخصية سوية قادرة علي التكيف.

ولا يخفي علينا ما لأهمية السنوات الأولي من الحياة من آثار بالغة الأهمية، فالطفل يولد ولديه الاستعداد لكل شيء تقريبا ثم يبدأ بعد ذلك دور العوامل البيئية المختلفة في إظهار تلك الاستعدادات وصقلها ولعل من أهم هذه العوامل الأسرة، فهي أول من يستقبل الطفل ويعلمه ويدربه، ولقيام الأسرة بدورها علي أكمل وجه لابد وأن تتعلم كيفية التعامل مع الطفل بطريقة سوية لتتمكن من التأثير عليه وتحويله إلى كائن اجتماعي، ومن الأساليب البالغة الأهمية التي يجب اتباعها في تلك المرحلة أسلوب الثواب والعقاب بشقيهما المادي والمعنوي والذي يساهم بقدر كبير في اكتساب السلوك المقبول اجتماعيا شريطة أن يتم استخدامه بطريقة صحيحة والتي تتطلب إعطاء المبررات عند الإثابة أو العقاب بأسلوب يفهمه الطفل ويتناسب مع طبيعة تفكيره وذلك حتى يتم تثبيت السلوك المرغوب وتعزيزه وإطفاء السلوك الغير مرغوب.

ولكي تتمكن الأسرة من القيام بتلك الوظيفة المهمة لابد وأن تكون هي ذاتها متمتعة بصحة نفسية جيدة كما سبق وأن أشرنا ومتفهمة لأهمية دورها ولكيفية القيام به، ومن المؤشرات المهمة والدالة علي مدي ما تتمتع به الأسرة من صحة نفسية والتي تؤثر وبشكل كبير علي النمو السوي للأبناء طبيعة العلاقة بين الزوجين ومدي التوافق النفسي والانفعالي بينهما وسيادة جو من الود والتفاهم والتماسك بين أفرادها، فالخلافات بين الزوجين والاتجاهات السلبية نحو الحياة الزوجية والشعور بالتعاسة والمشكلات النفسية التي قد يعاني منها الزوجين أو أحدهما وكذلك المشكلات المادية والاجتماعية كلها تؤثر سلبيا علي الأبناء نتيجة لما يتعرضون له من أنماط سلوكية لا تشجع علي النمو السوي، فلا شك أن الأجواء التي يسود فيها الحب والعطف والقبول تساعد علي نمو الطفل بشكل يساعده علي تقبل الآخرين وتكوين مشاعر إيجابية تجاههم والثقة فيهم.

قواعد الصحة النفسية للطفل:

وإذا انتقلنا من العام إلى الخاص وحاولنا الإجابة على تساؤل أحد الأمهات (أو الآباء): كيف أتعامل مع ابني لكي يصبح صحيحاً نفسيا؟

والإجابة على هذا التساؤل المهم تتمثل في اتباع القواعد التالية:

1- التوازن بين التطور والتكيف:

هناك قاعدة تربوية هامة يمكننا اعتبارها قاعدة ذهبية في هذا المجال، وهي أن الطفل كائن نامي، ينمو كل يوم، ينمو في جسده وفي تفكيره وفي طاقاته وفي إدراكه وفي كل شيء، فهذا الطفل النامي يتغير من لحظة لأخرى ومن يوم لآخر، وفي ذات الوقت يحتاج مع هذا التغيير المستمر وهذا النمو المطرد أن يكون في حالة تكيف وانضباط وسلام مع البيئة والمجتمع المحيط به، وبهذا سنقول أن هذا الطفل لكي يكون صحيح نفسياً ونطمئن عليه، فلابد أن يكون هناك توازن بين متطلبات نموه وتطوره ومتطلبات تكيفه مع المجتمع والحياة.

ولنرى هذا المفهوم بشكل أوضح، سنفترض أن هناك كفتين: الأولى كفة التطور والثانية كفة التكيف، ولكي يكون الطفل صحيح نفسياً، لابد من حدوث توازن ما بين هاتين الكفتين، فلو تخيلنا أن كفة التطور زائدة عن كفة التكيف أو أصبحت هي الحائزة على الاهتمام فسيتطور الطفل وينمو بسرعة في جسمه وفي ذكائه وفي تفكيره وفي كل شيء يخصه، ولكن – وبالمقابل – ليست له علاقة بالمجتمع الذي يعيش فيه ولا يتكيف معه، فهو في حالة تطور مطلق بدون قيود، وإذا ترك بهذا الشكل سيصبح أنانياً ولديه حالة نرجسية شديدة ولا يفكر إلا في نفسه ونموه وتطوره، وفي النهاية سيكون مدمرا لمن حوله ولنفسه أيضاً وفي حالة صراع دائم مع البيئة التي يعيش فيها، برغم كونه متطورا ونامیا ومبدعا.

وعلى العكس، إذا كان هناك طفل آخر متكيف بدون تطور، بمعنى أنه مطيع جداً، هادئ جداً، ولا يفعل شيء إلا بأمر من الأب أو الأم، ويحتاج لأمر آخر ليوقف هذا الفعل، فهو مطيع تماماً لكل ما يأتي إليه من أوامر وتوجيهات وليست له أي حركة تطور أو نمو أو تفكير أو إبداع أو أي شيء.

هذا الطفل في معيار الأب والأم وهو صغير طفل مريح جداً لأنه مطيع وهذا هو هدف كل أب وأم، ولكن عندما يكبر سيدرك الأبوان أن هذا الطفل عبء شديد جداً عليهم لأنه لا

يمتلك أي مبادرة ولا يمتلك أي ملكات أو قدرات ولا يستطيع عمل أي شيء بمفرده، شخصية اعتمادية سلبية مملة.

إذا فلكي تتحقق الصحة النفسية لأطفالنا لابد من مساعدتهم حتى يتطوروا وينموا وفي نفس الوقت نساعدهم على التكيف مع البيئة التي يعيشون فيها، وهذا التوازن ليس توازناً جامداً أو ساكناً بحيث نزيد هذه الكفة وننقص الأخرى مرة واحدة وتنتهي المهمة، لكن طالما كانت حركة النمو والتطور سريعة ومتغيرة فلابد من أن يواكبها تغير في حركة التكيف، فالتوازن هنا توازن ديناميكي بمعنى أنه يتطلب قدر عالي من المرونة، كلما زادت كفة نزيد الأخرى بمقدار مناسب وهكذا.

2- الدوائر المتسعة: صحة الطفل ـ صحة الأم ـ صحة الأسرة ـ صحة المجتمع:

وهذا التوازن (المذكور أعلاه) ليس فقط في دائرة الطفل ولكن هناك دوائر أخرى متتالية تحتاج للتوازن فلن ننظر للطفل على أنه كائن وحيد، لكن سننظر إليه باعتباره دائرة تحوطها دائرة الأم تحوطها دائرة الأسرة تحوطها دائرة المجتمع، ولهذا يجب أن تكون هناك حالة توازن بين هذه الدوائر فننظر لصحة الطفل وصحة الأم وصحة الأسرة وصحة المجتمع، فالأم هي الحضن الأقرب للطفل، فلا نتصور وجود ابن صحيح نفسياً وله أم مضطربة نفسياً، والأسرة هي الحضن الأكبر الذي يحتضن الطفل والأم معاً، فلا نتصور كون الطفل والأم صحيحين معاً في حين أن الأسرة مضطربة، والطفل والأم والأسرة يحتضنهم المجتمع وهو الدائرة الأكبر فلا نتصور أن يبقى هؤلاء في صحة في حين أن المجتمع في حالة اضطراب.

وعندما نقوم كمعالجين بتقييم حالة طفل ننظر لهذه الدوائر ونحدد موضع الخلل، فأحياناً يأتي الطفل باضطراب معين، وحينما نفحصه نجد أن هناك خلل في أحد هذه الدوائر أو في أكثر من دائرة، فلابد من التفكير في إصلاح هذا الخلل، ولا نتوقف عند الطفل فقط،

لأن الطفل هو ممثل هذا الاضطراب، فالطفل أكثر صدقاً وأكثر براءة وأكثر شفافية، فيظهر فيه الاضطراب بوضوح لكن لا يكون هو أصل الاضطراب، فقد يكون هذا الاضطراب من أم مكتئبة أو مدمنة أو الأسرة أو المجتمع فننظر إلى أصل هذا الاضطراب. وأحياناً نتجه مباشرة لعلاج الأم أو علاج الأسرة، أو نقوم بتصحيح خلل اجتماعي، فكل هذا قد يجعل الطفل في حالة أفضل.

3- الصحة النفسية بين المطلق والنسبي:

وفي الواقع، مفهوم الصحة النفسية لكل هؤلاء (الطفل – الأم – الأسرة – المجتمع) مفهوم نسبي وليس مفهوماً مطلقاً، بمعنى أنه يختلف من بيئة لأخرى ومن مجتمع لمجتمع ومن أسرة لأسرة وما يمكن اعتباره صحياً في مكان، يمكن اعتباره اضطراباً في مكان آخر، ولتقريب الفكرة (أن الحركة الزائدة للطفل داخل المنزل وهو مكان محدود قد يزعج الأم ويجعلها تبحث عن وسائل مختلفة لتهذيب سلوك الطفل والسيطرة عليه، أما إذا قام نفس الطفل بنفس السلوك أو يزيد عنه، في الحدائق والمتنزهات العامة فسيصبح سلوكا مقبولا في نظر الأم وربما لا تشعر من الأساس بأن الطفل يقوم بنشاط زائد

وعلى كل حال فإنه يمكن وضع برنامج تربوي لتفريغ طاقة الطفل الموجودة لديه، خاصة إذا كان أصدقاؤه من الأشقياء، ويمكن إكسابه بعض المهارات كتعلم الرسم والموسيقى وغيرها من الهوايات التي تشغل وقته، مع تعويد الأم ألا تتخذ موقفاً عدائياً مع الطفل إذا قام بموقف سيئ حتى لا يكرر نفس الموقف مرة أخرى، مع اختيار الألعاب التي تنمي ذكاءه وتشغل تفكيره.

4- الاستقطاب بين النقيضين مقابل الحوار والتعايش:

هناك أسر تكون في حالة استقطاب ما بين نقيضين، بمعنى أنها أسرة أحادية النظرة وأحادية التفكير، فلا ترى الأشياء إلا بلونين، أبيض أو أسود، ولا تستطيع رؤية درجات الألوان البينية ما بين الأبيض والأسود، يرون أن ما يفعلوه هو الصحيح المطلق وكل ما عداه خطأ ولا يقبل النظر ولا التفكير ولا الحوار، فينشأ الطفل في هذا الجو وهو مستقطب استقطابا شديدا في ناحية واحدة أو اتجاه واحد، أحادي التفكير، لا يستطيع رؤية سوى احتمال واحد في كل شيء ولون واحد من كل الألوان.

من هنا عندما يكون الاستقطاب في اتجاه، لابد أن يتصارع مع الاتجاه الآخر أو يضاده، ويفقد هذا الطفل القدرة على التحاور والتعايش مع الآخرين المختلفين عنه، وبهذا الشكل يصبح الطفل دائماً في صراع مع أصحابه، ومع الجيران، ومع المجتمع، وعندما يكبر، يظهر موضوع الاستقطاب وأحادية التفكير مع الأب والأم، لأنه تعود أن الحقيقة واحدة فقط، الدنيا بها لون واحد، عندما يكبر ويدخل فترة المراهقة، يختلف عن الأب والأم، لا يحتمل هذا الاختلاف فيبدأ بالعدوان على الأب والأم، لأنهم لم يعودوه الاختلاف مع الآخرين، والتحاور والتعايش معهم، فيدفع الأب والأم ثمن هذا الاستقطاب الذي أعطوه للطفل من خلال الجو الأسري القائم على فكرة الاستقطاب أو أحادية التفكير.

5. الاحتياجات بين الإشباع والحرمان:

للإنسان عدد كبير من الاحتياجات الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها لأنها تشكل بالنسبة له الأمان النفسي وذلك ما سوف نتحدث عنه بالتفصيل في الفصل الخامس نظراً لأهمية الحاجات الإنسانية في حياة الإنسان ومدى تأثيرها عليه في جميع مراحل حياته، ولكننا نشير هنا فقط إلى "هرم الاحتياجات" والذي قام بعمله عالم النفس الشهير "أبراهام ماسلو"، حين قال إن

الإنسان له احتياجات جسمانية بيولوجية عبارة عن الأكل والشرب والمسكن والملبس، هذه الاحتياجات لابد أن تشبع أولاً، وتمثل قاعدة الهرم، يليها احتياج الأمن والاستقرار، يليه احتياج الانتماء، الانتماء للأسرة والوطن والإنسانية، يليه احتياج الحب، أن يكون الإنسان قادراً على نشر الحب لمن حوله واكتساب حبهم له، يليه احتياج التقدير، أن يشعر بأن الناس يقدرونه كشخص، ويقدرون ما يفعله من أجلهم، مما يجعلهم يلتفون حوله ويأيدونه دائماً، وانتهى ماسلو في آخر الهرم بالحاجة إلى تحقيق الذات، وهي أن يحقق الإنسان ذاته ويواصل أهدافه في الحياة، ثم توقف عند هذه النقطة، لكننا نضيف إلى هذه الاحتياجات احتياج مهم جداً هو التواصل الروحي، فالإنسان لديه احتياج للتواصل الروحي مع الله، مع الكون، مع السماء، مع الغيب، وبدون توافر هذا الاحتياج لا يمكن أن يحظى الإنسان بالسعادة الحقيقية طوال حياته.

وبرغم أهمية الحاجات وضرورة توافرها للإنسان إلا أننا عندما نخص الطفل فلابد أن نشير إلى ضرورة عدم إشباع حاجات الطفل بشكل كامل، بمعنى أن نشبع حاجات الطفل بتوازن، فهناك قاعدة مهمة وهي أن إشباع الاحتياجات لدرجة التخمة يؤدي إلى حالة من الترهل والضعف والمرض، فلابد من وجود توازن بين درجة الإشباع ودرجة الحرمان، لماذا؟ لأن الحرمان ينشط الدوافع عند الطفل، ويجعله يتحرك ويعمل ويكون لديه أمل يخطو به نحو النجاح وهدف يسعى وراء تحقيقه، لكن لو أشبعت كل حاجاته، فسيتوقف الإنسان عن السعي والحركة والتفكير والإبداع... إذن لابد من وجود أشياء يحتاجها.. أشياء يحرم منها ويسعى إليها ويحلم بها.

إذن فهناك توازن ما بين الإشباع والحرمان، فالطفل لو أخذ كل احتياجاته فلن يكون صحيحا، ولو حرم حرماناً شديداً، ستصبح عنده مشاعر حقد وكراهية وحرمان وكره لمن حوله، لأن كل الذي يحتاجه لا يجده. وقد وضع علماء النفس معادلة يمكن تجربتها، وهي في الحقيقة مفيدة، قالوا أنه يكفى تلبية 70٪ من احتياجات الطفل، بمعني: لو الطفل طلب مائة حاجة، يلبى له منها 70 فقط، حتى لو كان الـ 100 حاجة منطقيين وهو يحتاجهم فعلاً، لكن تلبية الـ 100 حاجة لن تؤدي إلى سلامة هذا الطفل، فلابد من وجود شيء ينقصه.. يسعى إليه ويحلم به، ويكون عنده الأمل أن يحصل عليها في وقت من الأوقات، ونشجعه أن يعمل ويسعى للحصول عليه.

6- احترام إرادة الطفل:

كثير من الآباء والأمهات يظنون أن الطفل ليست له إرادة أو أنها تنمو عندما يكبر ويصبح شاباً أو رجلاً، لكن الطفل له إرادة من وقت مبكر جداً (ويمكن أن تلاحظ الأم هذا من خلال رفضه لأشياء وتمسكه بأشياء) وليس مسلوب الإرادة ويتحرك بريموت كونترول كما يريد الأب والأم، وحتى وهما معترفين بوجود هذه الإرادة، يريدون أن يلغوها، لأنهما يعتقدان أن عندهما خبرة ومعرفة بالحياة أكثر من هذا الطفل فلابد من أن يختارا له طريقته في التفكير وفي الحياة وفي تحديد الأهداف والأساليب وكل شيء، وكثير من الآباء والأمهات يصلون إلى درجة أن يحاولوا جعل هذا الطفل صورة طبق الأصل منهم، وهم يعتقدون – واهمين – أنهم أفضل صورة إنسانية ممكنة أو أفضل نموذج ممكن، وعندما يواجه الطفل بمحاولة إلغاء إرادته يبدأ في هذه اللحظة في اتباع سلوك العناد، وهذه مشكلة كثير من الآباء والأمهات يشكون منها ويقولون أن ابنهم عنيد، ويحاولون علاجه من هذا المرض، العناد !، ويحضرون هذا الابن لكي يقوم الطبيب النفسي أو المعالج بترويضه لكي يسمع الكلام ويقوم بتنفيذ كل ما يريدونه، طبعاً هذا غير ممكن عملياً، وإرادة الله أعطت لهذا الطفل هذه الملكة..... أن تكون له إرادة مستقلة، خلقه الله صاحب إرادة، فلماذا نحاول أن نغير خلق الله، وهذا لا يعني أن نتركه تماماً ليفعل كل ما يشاء بناءاً على كونه لديه إرادة مستقلة.

وقد قام العلماء بتقسيم الهداية، وهي نوع من التربية والتوجيه، فقالوا إن الهداية نوعان: النوع الأول "هداية إبلاغ"، والثاني "هداية فعل". هداية الإبلاغ هذه أن نقول للطفل هذا صواب وهذا خطأ، لابد لكي يكون عنده قانون يتكيف به مع الحياة والبيئة ومع الكون كله، فلابد أن يبلغ الأب والأم هذا القانون للطفل، ولكن لا يتوقعون الامتثال التام لهذا القانون بمجرد إبلاغه، لأن هناك هداية أخرى هي هداية الفعل، أن يستجيب الطفل للرسالة التي وصلته لا يعني بالضرورة أن يستجيب لها كلها، يستجيب لأشياء ويؤدي أشياء ويغير أشياء ويعدل أشياء، لأن الله خلق له إرادة ورؤية، وله فكر حتى وهو

صغير، لابد أن نتأكد من هذا تماماً، فسيبدأ في الاختيار ثم بالتجريب، ويجب أن يدرك الأبوان أن ما وصلا إليه من خبرات كان نتيجة مراحل كثيرة من التجارب والأخطاء والنضج والتعلم، ومن حق أطفالنا أن يأخذوا فرصتهم في البحث والتجريب والاقتناع بما سيقومون به من أعمال، وأن يضعوا في الحسبان أنه من الممكن أن يتمرد الطفل ويرفض عمل أي شيء لمجرد أن يكون ضدهم، ومن ثم يصبح عدوانيا، وفي النهاية ستكون رحلة الصراع مؤلمة وضارة للطرفين ينشأ عنها مشاعر سلبية عند الطفل تجاه الأبوين، وعند الأبوين تجاه الطفل، ويدخل الجميع في أزمة لا يستطيعون الخروج منها، إلا لو دخل طرف ثالث، يفك هذا الاشتباك، ويبدأ في إخراج هذه المشاعر السلبية التي تراكمت فاختفت تحتها ملامح الشفافية والطاعة التي يتحلى بها الطفل السوي.

7- مراعاة مشاعر الطفل:

ففي مجتمعاتنا - كما قال أحد العلماء - عندنا أمية تربوية وأمية نفسية ووجدانية. الأمية التربوية هي أننا محتارون في كيفية تربية الأولاد، ولدينا أخطاء كثيرة، كلنا بلا استثناء بما فيهم من يحاضر في التربية، والذين يقومون بأبحاث كبيرة جداً في التربية، عندهم أخطاء في تربية أولادهم، لأن موضوع التربية هذا لم يأخذ منا اهتماماً كبيراً، أحياناً نربيهم بطرق محفوظة وأنماط جامدة غير مرنة، ونصمم عليها، ولا نغيرها مع الوقت.

ورغم أن الطفل كما قلنا يتغير وينمو، واحتياجاته تختلف من وقت لآخر، لكننا توقفنا عند أنماط جامدة وقواعد صلبة وصممنا عليها فهنا، حتى رغم أن هذه القواعد من الممكن أن تكون صحيحة إلا أن عدم تغييرها وعدم مواكبتها لتطور الطفل ونموه يجعلها غير صحيحة، وتحتاج إلى تعديل وتغيير من وقت لآخر، فعندنا أمية تربوية بلا شك، وكلنا نحتار

في كيفية تربية الأولاد، وما نقدمه الآن لن يحل المشكلة، لكنه سيسهل الأمور كثيراً على الأب والأم، ويكون كمصابيح تنير بعض المناطق، وليست لدينا خبرة كافية لنفوسنا ولنفوس الآخرين، لهذا نحس بعدم الراحة، وعلاقاتنا مضطربة.

وهناك الكثير من الصدامات والاحتكاكات بسبب الأمية النفسية، فنحن لم نعطِ لهذا الجانب أهمية، بأن نفهم أنفسنا ونفهم الآخرين. أما الأمية الوجدانية فهي أمية المشاعر، بمعنى أننا لا نعطي للمشاعر اهتماماً كبيراً ولا نراعي مشاعر بعضنا بشكل كاف، ولا يهمنا الكلمة التي نقولها إن كانت تؤثر في هذا أو تغضب ذاك، فكثيراً ما نقوم بعمل أشياء لا نحس بها ولكنها تسبب آثاراً كبيرة على الناس، والطفل - على وجه الخصوص - كائن رقيق بريء ناعم ولطيف، تكون له مشاعر مرهفة جداً وتحتاج للتعامل بدقة وحساسية لأن هذا الطفل كيان بريء يحتاج أن تكون في غاية الحرص والحذر في التعامل معه، فإذا انتهكت هذه البراءة بتعامل فظ غليظ خشن لا يقدر أن لهذا الطفل مشاعر وأحاسيس فإنك تؤذيه غاية الإيذاء دون أن تدرى ودون أن يستطيع هو التعبير لفظيا عما حدث له، فالطفل لم يتعود بعد التعبير عن مشاعره بلغتنا المعتادة لذلك حين يتأزم وجدانيا ربما يظهر عليه ذلك في صورة اضطراب في الشهية أو اضطراب في النوم أو اضطراب في السلوك. والحقيقة أننا لا ندرك هذه المشاعر بدرجة كبيرة وأن مشاعر هذا الطفل مختلفة عن مشاعرنا ولا تظهر بالشكل الذي اعتدناه لأنها لم تأخذ الشكل المميز لكنها موجودة، ونحن في حاجة لقراءتها بلغتها البسيطة دون تعقيد.

8- رعاية مواهب الطفل واحترام الفروق الفردية بين الأطفال:

كثير من الآباء والأمهات يريدون أن يصبح الأطفال قالباً واحداً، يريدونهم بنفس السلوك، يريدونهم يتميزون بالطيبة والشفافية والصدق والتفوق، وحفظ القرآن في سن صغيرة، دون النظر إلى الفوارق الفردية بين الأبناء والميول المختلفة بينهم، ويغفلون عن حقيقة مهمة وهي، أن كل إنسان في هذه الدنيا يؤدي رسالة معينة ويضيف للحياة شيئاً مختلفاً عما يضيفه باقي الناس، فكيف نريد من أبنائنا أن يكون لهم جميعاً طبيعة واحدة، وأن يتشابهوا في طريقة التعامل والأداء وحتى الموهبة؟

إن إنكارنا لهذه الموهبة، تضيع الموهبة وفي نفس الوقت لن نتمكن من إجبار الطفل على

التميز في مجال ليس موهوباً فيه، كما يجعل الأولاد يغارون من بعضهم، لأن كل طفل يريد أن يصبح مثل أخيه، ولا يستطيع، يبدأ في كرهه لأنه يشعر بأنه يقوم بعمل شيء يعجب الأب والأم وهو لا يستطيع عمل هذا الشيء الذي يحوز رضا وإعجاب الأبوين، وينظرون إليه على أنه أقل من أخيه، فيغار منه، ويكرهه.

إن الله سبحانه وتعالى أعطى كل إنسان قدرة وملكة وموهبة تميزه عن غيره من البشر وهذه نعمة عظيمة في حد ذاتها، لأننا لو امتلكنا جميعا نفس المواهب ما أصبحت الحياة بهذا الشكل ولا وصلنا لكل هذا التطور ولا تعلمنا كل هذه المهن التي يخدم كل منا بها الآخرين والتي نشارك جميعاً بها في خدمة وطننا الذي يحتوينا، فنحن في مجتمع للأسف الشديد ما زال ينظر للأمور بسطحية ويرسم للنجاح طرقا محددة قائمة على الجهد والظروف دون الاهتمام بالموهبة والإبداع، ولكن لابد أن يدرك الجميع أن هناك ألوان كثيرة من النجاح والإبداع والعطاء وألون كثيرة من تعمير هذه الحياة، كل شخص يقوم بعملها بطريقته، وبالموهبة التي منحه الله إياها، ويجب علينا ألا نشوه هذه الفطرة.

وفى الآونة الأخيرة كثر الحديث عن ما يسمى بنظرية "الذكاءات المتعددة" مثل الذكاء اللفظي اللغوي، والذكاء المنطقي الحسابي والذكاء البصري الفراغي والذكاء الحركي والذكاء الفني والذكاء الاجتماعي والذكاء الوجداني والذكاء الروحي (انظر المزيد من التفصيل: مدحت أبو النصر: 2009).

وللأسف الشديد نحن لا نقيّم في أبنائنا غير عدد قليل من هذه الذكاءات، غالباً الذكاء اللفظي اللغوي والذكاء المنطقي الحسابي، وهذا يهدر بقية ملكاتهم التي أودعهم الله إياها ويتركهم في حيرة ويجعلهم يشعرون بالدونية لأن ملكاتهم ليست لها قيمة عند الناس الذين يحبونهم ويرعونهم. وهذه النظرة المختزلة للأبناء لا تتوقف عند حدود البيت وإنما تمتد أيضا إلى المدرسة، حيث يقوم النظام التعليمي على تقدير ملكات محدودة لدى الطالب (غالبا اللفظية اللغوية والمنطقية الحسابية) ويهمل بقية الملكات والذكاءات.

ولهذا نجد الطلاب لا يحبون مدارسهم لأنهم لا يجدون أنفسهم فيها، وقد زاد من هذه المشكلة الانتشار الوبائي للدروس الخصوصية والتي كانت في فترة من الفترات بمثابة التعليم الموازى والآن أصبحت تمثل التعليم البديل، والتعليم في الدروس الخصوصية يقوم على فكرة

إعداد كائن امتحاني يحصد أكبر عدد من الدرجات ولا شيء غير ذلك، وهكذا يختزل الطالب كإنسان ويتحول لأداة تجمع الدرجات، فضلا عن اكتسابه صفات الاعتمادية والانتهازية والاستسهال والمسايرة والنمطية وكلها صفات تخرج لنا جيلا هزيلا لا يعتمد عليه.

وللطفل الموهوب سمات تميزه عن غيره من الأطفال، نذكر منها:

1- واثق من قدرته على تنفيذ أي عمل.
2- يكره اتباع الأساليب التقليدية في أعماله.
3- يميل إلى اللعب بالألعاب التركيبية ويحب فك وتركيب أجزاء اللعبة ولا يمل من صعوبتها.
4- يحب اللعب مع من يكبرونه سناً.
5- يكره الأنظمة والقوانين الصارمة التي تحكمه.

6- لا يستسلم بسهولة ولديه استعداد لتكرار التجربة.
7- كثير الأسئلة والتفكير.
8- متأمل وخيالي يستمتع بالحكايات والقصص الخيالية ويحب سردها والإضافة عليها.
9- لديه طلاقة في الكلام ويستخدم ألفاظ جيدة.
10- يربط بين ما يشاهده وما تعلمه.
11- يحب التنافس والتحدي.
12- يقترح أفكار جديدة وجريئة.
13- لديه القدرة على الملاحظات والتحليل والنقد.
14- متعدد الميول والاهتمامات.
15- لديه قدرة على حل المشكلات بسهولة.
16- يحب المغامرة والمخاطرة.

17- لديه يقظة واستجابة بطريقة نشطة للمثيرات المرئية مثل: الصور والقصص.
18- لديه فهم مبكر للمفاهيم المجردة مثل: الوقت.
19- لديه قدرة على عمل أشكال جذابة وغير عادية من التصميمات مستخدماً وسائل عديدة في تحقيق ذلك.
20- لديه متعة وسرور للتعلم.
21- لديه حساسية عالية.
22- يمل ويضجر بسهولة مما يجعله يبدو قاصراً في الانتباه.
23- يقاوم السلطة إذا لم تمارس الشورى وتوفر الحرية.
24- يعلم بالتجربة والاكتشاف ويكره الحفظ الأصم.
25- يعبر عن عواطفه ومشاعره بصراحة.
26- لديه القدرة على التنظيم الذاتي.

إن الاهتمام بمواهب الأطفال يجعلهم يتمتعون بصحة جيدة، ويبتعدون عن النزاعات العدوانية، والرغبة في السيطرة، ويتخلصون من كثير من المشكلات السلوكية والدراسية فيما بعد. وقد أكدت العديد من الدراسات أن إتاحة فرصة الإبداع للأطفال تجعلهم بعيدين عن القلق النفسي الذي تعاني منه المجتمعات اليوم، ويوفر لهم فرصة الكشف عن الذات أمام زملائهم، ويؤدي إلى الشعور بالرضا، كما يسهم في تكوين صفات القيادة فيهم، فيعرف الواحد منهم كيف يقود زملاءه، وينظم الأدوار فيما بينهم، ويكون أكثر إسهاماً في خدمة مجتمعه بعد ذلك.

9- مراعاة الترتيب والتكامل في وسائل التربية:

قرر علماء التربية أن الوسائل التربوية تتبع حسب الترتيب التالي:

- القدوة
- الثواب
- العقاب

ومع هذا نجد المربين لا يولون القدوة أهمية كبيرة ولا يولون الثواب اهتماما أو عناية، وربما تختزل العملية التربوية برمتها في العقاب ويختزل العقاب في الضرب.

وأذكر أنني كنت أزور عددا من المدارس ووجدت انزعاجا شديدا من المدرسين بسبب القانون الذي منع ضرب الطلاب في المدارس، وكان هؤلاء المدرسون يتساءلون: " إذا كنا سلبنا هذه الوسيلة التربوية الأساسية فكيف نتحكم في هؤلاء الطلاب وكيف نستطيع تعليمهم؟"، وكان يبدو جليا أن لديهم اعتقاد راسخ أن العملية التربوية تسقط تماما في حالة انتفاء عقوبة الضرب، وربما يعود ذلك إلى الثقافة السائدة لدينا منذ سنوات طويلة والتي اختزلت التربية في العقاب واختزلت العقاب في الضرب وأهملت سائر الوسائل التربوية الأكثر أهمية وتأثيرا مثل القدوة والثواب والوسائل الأخرى من العقاب كالعتاب والتوبيخ والحرمان... الخ.

ويحدد البعض تأثير العقاب المدرسي من قبل المعلمين على التلاميذ في المجالات التالية:

1- **سلوكيًا**: عدم المبالاة، العصبية الزائدة، مخاوف غير مبررة، مشاكل انضباط، ضعف التركيز وتشتت الانتباه، السرقة، الكذب، محاولات الانتحار، تحطيم الأثاث وإشعال النيران داخل المدرسة.

2- **تعليميًا**: ضعف التحصيل العلمي، والتأخر المتكرر عن المدرسة، والتسرب المتقطع أو الدائم.

3- **انفعاليًا**: ضعف الثقة بالنفس، الاكتئاب، العصبية والتوتر الدائمين، شعور بالخوف.

4- **اجتماعيًا**: العدوانية تجاه الآخرين، عدم المشاركة في نشاطات جماعية، الانعزال.

ولذا ننصح المسئول عن تربية الطفل سواء كان الأب أو المعلم بأن يكون قدوة صالحة لأبنائه ومعلماً يستمدون منه دروس الحياة دون ترقب أو خوف من الإهانة، وذلك باتباعه لما يلي:

- يمكنك أن تبقى صامتاً، لكن كن قدوة، واترك أولادك ليروا أفعالك، لأنهم لن يتذكروا أقوالك، بل سيتذكرون أفعالك وحركاتك وتصرفاتك فهي أقوي من ألف درس شفهي، وأفضل من ألف موعظة ممزوجة بالأوامر، ولا تطمح إلى أن يكون ابنك صالحاً إلا إن كنت أنت صالحاً.

- إذا أردت أن تعلم أبنك العطف، فخذه معك عند زيارة أحد دور الأيتام وتبرع أمامه وقدم الهدايا للمحتاجين.
- إذا أردت أن تحبب طفلك في صلاة الفجر، اجعله يراك أنت وأمه تصليان الفجر أمامه.

وتذكر عزيزي: أنك بالنسبة لأولادك قدوة ولبناتك مصدر الرجولة، وأنك بالنسبة لهم المصدر الذي يأخذان منه القيم، فإذا كنت تدخن فهذا يرسل إليهما رسالة إلى عقلهم الباطن مفادها أنّ الرجولة أن أدخن مثل أبي أو أستاذي، فاعمل على تشكيل سلوكهم كما تحب وأجعل البناء قوي كي لا يستطيع أحد هدمه مهما حاول.

مواكبة مراحل النمو:

الأسرة هي التي تنقل المبادئ والأفكار إلى أبناءها، ولم يكن هذا النقل عشوائيا أو في فترة زمنية معينة ولكنه يتم خلال مراحل النمو المختلفة لعمر الطفل، لذا فعلى الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل أن يستجيبوا لخصائص نمو الطفل واحتياجاته في كل مرحلة من مراحل هذا النمو، ولقد عمد علماء النفس إلى تقسيم مراحل الطفولة إلى خمس مراحل، ويعد هذا التقسيم على أساس النمو الجسمي للطفل، وما يواكب هذا النمو من خصائص نفسية ونمو عقلي ولغوي.

ولابد أن يكون الآباء على دراية كاملة بكل ما يطرأ على المجتمع من تطور فكري وتكنولوجي، حتى يستطيعوا أن يواكبوا مراحل النمو عند أبنائهم ويتعرفوا على أفضل الطرق للتعامل معهم في كل مرحلة، وإلا سيفاجئون بأنهم يسيرون في طريق مختلف عن الطريق الذي يسير فيه أبنائهم.

ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض الأمهات قد اشتكت من شدة التغير الذي طرأ على شخصية أبنائها وتقول أنهم عندما كانوا صغاراً كانت تشعر بحبهم أكثر، لكن عندما كبروا، أصبحت تشعر بالغربة معهم كأنهم لم يعودوا أبناءها، فهي تعجز عن فهمهم وهم أيضاً غير قادرين على فهمها، لا تعرف بالضبط من المخطئ، هي أم هم، نحن نقول لهذه الأم، أنكِ سيدتي كنتِ في الماضي متفقة مع أولادك نفسياً وفكرياً عندما كانوا صغاراً وكانوا يستمدون معلوماتهم منكِ ومن أبيهم فقط، ولكن أولادك الآن كبروا وتطورت أفكارهم وتطلعاتهم،

نظرا لتطور الزمن الذي نعيشه ولاختلاف ولدخول أشخاص كثيرون على حياتهم، لذا نشأت الفجوة التي تشعرين بها، والحل أن تعيشي مع أبنائك مرحلة مرحلة، وهذا يقودنا للتعرف بالتفصيل على خصائص مراحل الطفولة حتى يكون الأهل على علم كامل بهذه الخصائص وكيفية مراعاتها.

وهذه المراحل هي:

1- مرحلة الطفولة المبكرة (الطفولة الثانية): من ثلاث إلى ست سنوات.
2- مرحلة الطفولة المتوسطة (الطفولة الثالثة): من ست إلى تسع سنوات.
3- مرحلة الطفولة المتأخرة: وتمتد من سن التاسعة إلى الثانية عشرة..

وعلى ضوء هذا التقسيم يقع تلاميذ المرحلة الابتدائية في الفئة العمرية من (6- 12) عاما؛ أي أن المرحلة الابتدائية تمتد لتشمل مرحلتي الطفولة المتوسطة والمتأخرة، ومن هذا المنطلق كان لزاما التعرف على خصائص هاتين المرحلتين للتعرف على ملامح شخصية الطفل في هذه الفئة العمرية.

ويمكن عرض خصائص النمو ومتطلباته من خلال مرحلتي الطفولة المتوسطة والمتأخرة (تلاميذ المرحلة الابتدائية)، إلا أن لكل مظهر من مظاهر النمو المختلفة تطبيقات تربوية خاصة به يجب أن يدركها المربي أو من يقوم بعملية التربية والتعليم لهؤلاء الأطفال في تلك المرحلة.

أولا: النمو الحركي:

حيث تنمو العضلات الصغيرة والكبيرة في المرحلة العمرية من (6-9) سنوات، ويحب الطفل العمل اليدوي كما يشاهد النشاط الزائد وتعلم المهارات الجسمية والحركية اللازمة للألعاب والأنشطة المختلفة ويطرد النمو الحركي حيث تعتبر المرحلة العمرية من (9-12) سنة هي مرحلة النشاط الحركي الواضح حيث تشاهد فيها زيادة واضحة في القوة والطاقة. ويستمتع الأطفال في المرحلة العمرية من (6-9) سنوات بأوجه النشاط العضلي كالجري والقفز، التسلق على الأشياء، كما أنهم يميلون بشكل عام إلى الحركة في مختلف أوضاعهم، أما تلاميذ الصفوف الثلاثة التالية من (9-12) سنة تنمو لديهم المهارات الحركية ويتميز أداؤهم بالتناسق بين حركة العين.

التطبيقات التربوية للنمو الحركي:

- إتاحة فرصة للأطفال للتعبير عن نشاطهم العضلي من خلال ممارسة الألعاب مع توفير المكان والوقت المناسبين للأطفال.
- الاهتمام بأن تكون الوسائل التعليمية في المدارس الابتدائية مجسمة بقدر الإمكان؛ كي يستطيع الطفل لمسها ورؤيتها
- أن تكون الكتب الدراسية مكتوبة بخط واضح وكبير
- الاهتمام بتغذية الطفل والمداومة على الرياضة.
- توسيع نطاق الإدراك عن طريق الرحلات إلى المتاحف والمعارض.
- اتخاذ النشاط وبخاصة الحركي مدخلا إلى تعليم الطفل، وإثراء أنواع النمو المختلفة، ويأتي على رأس النشاط الحركي اللعب باعتباره أداة مشوقة لبذل الجهد والاستمرار في ممارسة الخبرة.
- إن لغة الأطفال هي الحركة، ومن ثم يجب إعداد الأنشطة المتنوعة التي تتيح لهم الحركة والجري والانطلاق مع أدوات اللعب الإيهامي، كما أن خيال الطفل يتدخل في تصوره للأشياء والأحداث، وحواس الطفل هي المصدر الرئيسي للإدراك وتنمية محصوله اللغوي.

ثانيا: النمو الحسي

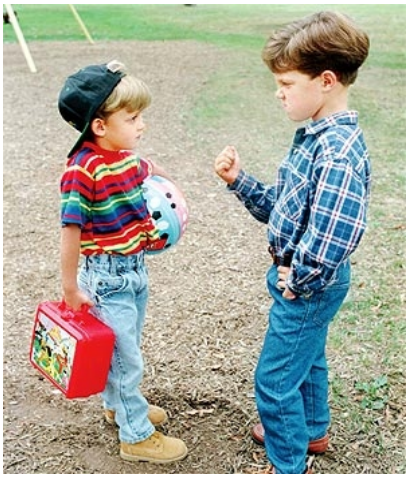

يشاهد في المرحلة من (6-9) سنوات تطور في النمو الحسي، وخاصة في الإدراك الحسي ويتضح ذلك تماما في عملية القراءة والكتابة، ومع بداية المدرسة الابتدائية تظهر قدرة الطفل على التمييز بين الحروف الهجائية المختلفة الكبيرة والمطبوعة، ويستطيع تقليدها، ويستمر السمع في طريقه إلى النضج، ويتطور الإدراك الحسي وخاصة إدراك الزمن، إذ يتحسن في هذه المرحلة من (9-12) سنة إدراك المدلولات الزمنية والتتابع الزمني للأحداث

التاريخية. وتمتاز شخصية تلاميذ الحلقة الأولى من (6-9) سنوات بأن إدراكهم لمفاهيم الزمن والمكان والمسافة مازال محدودا، وتكاد تكون أهدافهم مباشرة، كما يستخدمون خبراتهم البديلة، والفجة أحيانا، في حل بعض مشكلاتهم وفى إدراك العلاقات السببية، في حين تتسع قدرة التلاميذ في المرحلة من (9-12) سنة على فهم العلاقة السببية ويتسع إدراكهم لمفاهيم الزمان والمكان والمسافة.

التطبيقات التربوية للنمو الحسي:

تتفق التطبيقات التربوية للنمو الحسي مع النمو الحركي، حيث يفضل إتاحة الفرص للأطفال في هذه المرحلة للتعبير عن نشاطهم من خلال الألعاب مع توفير المكان والزمان المناسبين ومع ضرورة تركيز النشاط اللغوي حول المحسوسات من الأشياء وحول لعب الدور والأداء التمثيلي وأن يدور حول اهتمامات الطفل وقدراته.

ثالثا: النمو العقلي:

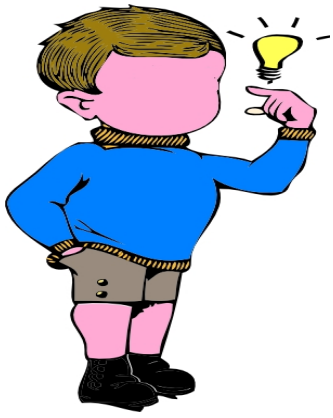

يؤثر الالتحاق بالمدرسة في نمو الطفل بجانب الدور الذي تلعبه الأسرة في حياته، وذلك في المرحلة العمرية من (6-9) سنوات، والمدرسة هي المؤسسة التربوية التي وكلها المجتمع لتقوم بعملية التربية والتعليم والسلوك القويم القائم على القيم والمعايير الاجتماعية التي تحددها ثقافة المجتمع، ويستمر النمو العقلي بصفة عامة في نموه السريع بالمرحلة من (6-9) سنوات، ومن ناحية التحصيل يتعلم الطفل المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب، ويلاحظ هنا أهمية التعلم بالنشاط والممارسة. وينمو التفكير الناقد في نهاية هذه المرحلة حيث يلاحظ أن الطفل نقاد للآخرين حساس لنقدهم، وينمو التخيل من الإسهام إلى الواقعية والابتكار والتركيب، وينمو اهتمام الطفل بالواقع والحقيقة، وينمو حب الاستطلاع لديه. ومن ناحية أخرى فإن النمو العقلي يظهر في هذه المرحلة من (9-12) سنة بصفة خاصة في التحصيل الدراسي، ويدعم ذلك الاهتمام بالمدرسة والتحصيل والمستقبل العلمي للطفل، وتنمو مهارات القراءة، وتتضح تدريجيا القدرة على الابتكار مع القدرة على التخيل والإبداع.

وينزع أطفال السنة السابعة بشكل عام إلى النقد والتشكك والسؤال باستمرار عن معنى ما يلقى عليهم من مفردات أو ما يقدم إليهم من معلومات، ويزداد حب الاستطلاع عند الأطفال في المرحلة العمرية من (9-12) سنة والرغبة في التعلم، ويحبون جمع البيانات والحصول على معلومات من مجالات مختلفة، ومن مصادر متنوعة.

التطبيقات التربوية للنمو العقلي:

- أن تكون موضوعات المناهج ملائمة لدرجة النضج العقلي التي وصل إليها الطفل.
- أن يعتمد التدريس في السنوات الأولى على حواس الطفل، وذلك عن طريق تشجيع الملاحظة والنشاط.
- ربط التدريس بمظاهر الحياة أو الأشياء الموجودة في البيئة.
- استغلال الهوايات والمهارات الموجودة عند الطفل لتساعده على تنمية الخيال مع العلم أن التخيل في مرحلة الطفولة المبكرة يبد أمن الواقع وهو خيال جامح، أما التخيل في مرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة تخيل مرتبط بالواقع ومقيد بقوانين الطبيعة. وهناك صلة وثيقة بين هذا التخيل وبين الإبداع أو الابتكار لأن التفكير الإبداعي يعتمد على التخيل إلى حد كبير لأن الأساس فيه الإتيان بأفكار جديدة غير مسبوقة، وعليه فإن بوادر التفكير الإبداعي تظهر في هذه المرحلة عند الطفل ممثلة في التفكير التخيلي
- تدريب الطفل بواسطة الأسرة على التفكير واكتشاف العلاقات بين الأشياء.
- مواصلة استخدام الألعاب اللغوية، وتوظيف أوجه النشاط المختلفة، والتركيز على التدريبات الاتصالية التي تنمى القدرة على الإبداع اللغوي والتخفيف من التدريبات النمطية.
- توضيح أهداف تعليم اللغة، وإشعار الأطفال بقيمة ما يتعلمونه، وذلك تماشيا مع رغبتهم في هذه المرحلة في السؤال عن أهداف ما يقدم إليهم من خبرات.

ومن الخصائص النفسية التي يتميز بها الأطفال في المرحلة الأولى من العمر والتي ينبغي أن يفطن إليها المربي دائما، أنهم عمليون يعنون بالأمور الحسية ولا يهتمون بالأمور المعنوية، ولذلك نراهم يتعلقون بالأشياء التي تمس حياتهم في المنزل والمدرسة والشارع وغير ذلك من المحسوسات أكثر من تعلقهم بالوجدانيات والمعنويات، كما أنهم يميلون إلى التحدث عما

يقومون به من ألوان النشاط والأعمال وما يزاولونه من الخبرات والتجارب، ويجب على المعلم أن يستغل ميولهم ونشاطهم الغريزي وخصائصهم النفسية في تعليمهم اللغة العربية وفنونها في تلك المرحلة.

إن تعليم الأطفال مهارات التفكير يتطلب التأكيد على "أن محتوى المواد الدراسية ينبغي أن يصبح مركز اهتمام المعلمين، بل يجب أن يكون مجرد أداة لنقل ما تحمله هذه المحتويات من مهارات التفكير"، بالإضافة إلى تدريب الطفل على التفكير الناقد وحل المشكلات والاكتشاف والاستنتاج باستخدام أسلوب التعلم التعاوني الجمعي والتنافسي، والإدراك البصري بمساعدة الرسوم لتعزيز عمليات التفكير، حيث يوضح التلميذ أفكاره لكل فرد في مجموعته ويتشارك الجميع، ويتفاعلون في الحصول على التعميمات أثناء تنظيم أفكارهم من خلال المواد الدراسية وتطبيقها في مواقف جديدة.

وتعد المدرسة المكان المناسب الذي يوفر مناخا خصبا لنمو القدرات الابتكارية وقدرات التفكير الإبداعي لدى التلاميذ من خلال ممارسة الأنشطة التي تسهم في تنميتها، ومن خلال المعرفة والخبرات والمهارات التي يتعرض لها التلاميذ في المدرسة بصورة منظمة مما يكون لها الأثر الإيجابي أو السلبي على نمو قدرات التفكير الإبداعي لدى التلاميذ أثناء تعلمهم لمهارات اللغة المختلفة

رابعا: النمو اللغوي:

يعتبر النمو اللغوي في المرحلة من (6-9) سنوات بالغ الأهمية، حيث تعتبر هذه المرحلة هي الأساس في اكتساب اللغة، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة الجمل المركبة الطويلة، ولا يقتصر الأمر على التعبير الشفوي بل يمتد إلى التعبير التحريري، أما عن القراءة فإن استعداد الطفل لها يكون موجودا قبل الالتحاق بالمدرسة ويظهر منه ذلك خلال الاهتمام بالصور والرسوم والمجلات والصحف.

وتتطور القدرة على القراءة بعد ذلك إلى التعرف على الجمل وربط مدلولاتها بأشكالها، كما أن عدد الكلمات التي يقرأها الطفل في الدقيقة تزداد مع النمو، ويستطيع الطفل في هذه المرحلة تمييز المترادفات ومعرفة الأضداد، ويتضح تقدم النمو اللغوي في هذه المرحلة من (9-12) سنة في كلام الطفل وقراءته وكتابته، حيث تزداد المفردات ويزداد فهمها، ويزداد إتقان الخبرات والمهارات اللغوية، ويلاحظ طلاقة التعبير والجدل المنطقي.

وفى المرحلة الابتدائية تنمو المفردات اللغوية من صف دراسي إلى صف دراسي أعلى، كما أن تلاميذ تلك المرحلة يستخدمون الأسماء بنسبة تصل إلى ثلاثة أضعاف استخدامهم للأفعال؛ وذلك لأن طبيعة الفعل أكثر من طبيعة الاسم تعقيدا كما يقل تكرار المفردات في الأحاديث المنطوقة تدريجيا تبعا لتقدم التلميذ في العمر، ويكثر استخدام الجمل في الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية بصورة أوضح منه في الصفوف الثلاثة الأخيرة، كما تحظى المفردات اللغوية غير الفصحى بنسبة مرتفعة في أحاديث التلاميذ وخاصة في الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية إذا ما قيست بالمفردات اللغوية غير الفصحى لدى تلاميذ الصفوف الثلاثة الأخيرة، بالإضافة إلى ذلك يجب أن نأخذ في الاعتبار بأن البيئة المحيطة للتلميذ تؤثر تأثيرا كبيرا على المفردات اللغوية المختلفة المنطوقة في جميع الصفوف الدراسية بالمرحلة الابتدائية.

وتلعب المدرسة دورا مؤثرا في النمو اللغوي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية حيث تمدهم بذخيرة من الخبرات المختلفة، كما يعرض الطفل لأنماط لغوية شبيهة بما تستخدم في البيئة؛ ويرجع هذا إلى تقليد الكبار من حوله.

خصائص لغة الطفل في المراحل الأولى من العمر:

- يغلب على لغة الطفل أن تتعلق بالمحسوسات لا بالمجردات.
- يغلب على لغة الطفل أن تتركز حول النفس.
- يغلب على لغة الطفل البساطة وعدم الدقة والتحديد.
- للطفل مفاهيمه وتراكيبه الخاصة في الكلام.

وتوجد العديد من العوامل التي تؤثر على النمو اللغوي للطفل في مرحلة التعليم الابتدائي ولعل أهمها (الجنس، والذكاء، وظروف البيئة، ونمط الضبط، وترتيب الطفل في

العائلة، وحجم العائلة، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى وسائل الإعلام وتشجيع الآباء).

إن النمو اللغوي لدى الطفل مظهر من مظاهر النمو العقلي، كما أن اللغة أداة مهمة من أدوات التفكير، لذا تعتبر مرحلة الطفولة المبكرة هي المرحلة المناسبة لشروع الطفل في تعلم اللغة، ويسبق هذا التعلم محاولة الطفل فهم معنى الكلام الذي يسمعه؛ لأن عملية الفهم تسبق عملية التعبير اللغوي، وتؤثر في نمو الطفل العقلي واللغوي ظروف ذاتية متصلة بالطفل نفسه، كما تؤثر في هذا النمو بيئته المحيطة به تأثيرا مباشرا، فالبنات عادة أسرع من الأولاد في النمو اللغوي وأفضل نطقا، وأوسع حصيلة في المفردات.

ويعد النمو اللغوي جزءا من النمو العقلي تؤثر فيه الظروف الاجتماعية المحيطة فمثلا إذا كان الطفل وحيدا أو الأول في أسرته، فهو يخالط والديه مخالطة مستمرة ويتعلم منهما، كان أسرع في اكتساب اللغة وأقدر على تمثلها، كذلك يؤثر المستوى الاقتصادي للأسرة في تعلم اللغة؛ لأن الطفل في الأسرة الحسنة المستوى أكمل صحة وأسلم أجهزة وأعضاء، فهو أسرع نطقا وأدق لفظا وأوسع تجربة، كما أن محيط الطفل الوجداني والانفعالي يساعد أيضا على النمو اللغوي السوي؛ فالطفل المحاط بالحنان الأبوي والأسري أقدر على اكتساب اللغة من الطفل الناشئ في ظل الكبت والإحباط. وأخيرا فإن لغة الكلام والتخاطب عند الطفل لغة مكتسبة، حيث يكتسبها الطفل من بيئته ويتقنها.

وعلى ضوء ذلك فإن النمو السليم للطفل لغويا وعلميا، واجتماعيا ونفسيا، وصحيا يستدعى استعمال الأشياء والخامات التي تتفق مع حاجات الطفل الطبيعية، واستخدام القصص والمسرحيات والأناشيد وغيرها من الأشياء المحببة إلى نفسه في تعليمه اللغة، واتخاذ النشاط وبخاصة الحركي مدخلا إلى تعليم الطفل، وإثراء أنواع النمو المختلفة ويأتي على رأس النشاط الحركي اللعب باعتباره أداة مشوقة تؤدى إلى بذل الجهد والاستمرار في ممارسة الخبرة.

خامسا: النمو الانفعالي:

تتهذب الانفعالات في المرحلة العمرية من (6-9) سنوات نسبيا عن ذي قبل، تمهيدا لمرحلة الهدوء الانفعالي التالية، وفى هذه المرحلة نجد أن الطفل لا يصل في هذه المرحلة إلى النضج الانفعالي، فهو قابل للاستثارة الانفعالية ويكون لديه بواق من الغيرة والعناد والتحدي، وفى المرحلة من (9-12) سنة تمثل مرحلة هضم وتمثل الخبرات الانفعالية السابقة، حيث يحاول الطفل أن يتخلص من الطفولة والشعور بأنه قد كبر، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة الاستقرار والثبات الانفعالي، ويتضح الميل للمرح وتنمو الاتجاهات الوجدانية، كما تؤثر الضغوط الاجتماعية تأثيرا واضحا في النمو الانفعالي وفى المدرسة الابتدائية يجب أن يحس التلاميذ بأنهم محبوبون من مدرسيهم وأن يكونوا مطمئنين إلى الجو المدرسي الذي يعيشون فيه، حتى يطمئنوا إلى البيئة الطبيعية كما اطمأنوا للبيئة الاجتماعية وهذا يؤثر بدوره على نموهم الانفعالي، ومن هنا يجب على المناهج أن تتصل بحاجات الأطفال النفسية والانفعالية فتحقق للناشئ حريته في البحث والقراءة والإطلاع والتنقل من الفصل إلى الحديقة إلى المكتبة إلى غير ذلك من مصادر المادة المختلفة.

التطبيقات التربوية للنمو الانفعالي:

- إشباع الحاجات النفسية للطفل كالحاجة إلى الحب والتقدير والانتماء.
- تدريب التلاميذ على ضبط انفعالاتهم والتحكم فيها.
- عدم استثارة التلاميذ من قبيل التسلية وعدم التفرقة بينهم في المعاملة.
- عدم الاستجابة للطفل والسماح له بالحصول على ما يريد عن طريق الصراخ.

سادسا: النمو الاجتماعي:

تستمر عملية التنشئة الاجتماعية في المرحلة العمرية من (6-9) سنوات؛ وتدخل المدرسة كمؤسسة رسمية لتقوم بدورها في هذه العملية، وفى سن السادسة تكون طاقات الطفل على العمل الجماعي مازالت محدودة وغير واضحة، وبدخول الطفل المدرسة تتسع

دائرة اتصاله الاجتماعي، ويبدى رغبته في العمل الجماعي ويكون لعبه جماعيا، وتكثر صداقاته ويزداد تعاونه مع رفاقه في المدرسة والمنزل، وتتحقق له المكانة الاجتماعية، وتكثر الصداقات عن ذي قبل لازدياد صلة الطفل بالآخرين. وقد يهتم بالأصدقاء ورفاق السن أكثر من اهتمامه بأفراد أسرته، وتطرد عملية التنشئة الاجتماعية في هذه المرحلة من (9-12) سنة، فيعرف الطفل المزيد عن المعايير والقيم والاتجاهات الديمقراطية، ويزداد احتكاكه بالكبار، ويكون التفاعل الاجتماعي مع الأقران على أشده، يشوبه التعاون والتنافس والولاء، ويستغرق العمل الجماعي معظم وقت الطفل متمثلا في الأنشطة الجماعية داخل الفريق.

ويرافق الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة ظهور روح العمل الجماعي، وميله للاشتراك في الجماعات إشباعا لغريزة حب القيادة والغلبة والسيطرة التي تلح عليه في أعماقه، والعمل الجماعي في هذه المرحلة يحتاج إلى توجيه سديد.

التطبيقات التربوية للنمو الاجتماعي:

- توفير الأنشطة التي تساعد التلاميذ على التعلم مع مراعاة احتياجات هؤلاء التلاميذ من خلال الممارسة واللعب والعمل الجماعي.
- توفير الجو الاجتماعي وإشباع حاجة الطفل إلى الرعاية والتقبل والحنان من قبل الأسرة والأقران.
- تحسين العلاقة بين الوالدين والطفل كوقاية من حدوث الاضطرابات النفسية.
- تقوية الميل الاجتماعي مثل التعاون واحترام الآخرين
- إمداد الطفل بخبرات اجتماعية سليمة وكيفية التصرف في المواقف الاجتماعية المختلفة
- أهمية الرحلات والمعسكرات والتدريب على تحمل المسؤولية الاجتماعية.
- مشاركة التلاميذ مع بعضهم البعض للتعبير عن أفكارهم في صورة مجموعات صغيرة، لأن هذا من شأنه أن ينمى الثقة بالنفس والمسؤولية فضلا عن روح الجماعة والعمل في الفريق.

سابعا: النمو الخلقي:

في بداية المرحلة الابتدائية من (6-9) سنوات يحل المفهوم العام لما هو صواب وما هو خطأ، وما هو حلال وما هو حرام محل القواعد المحددة، ويزداد إدراك قواعد السلوك الأخلاقي القائم على الاحترام المتبادل، وتزداد القدرة على فهم ما وراء القواعد والمعايير السلوكية، وتتحدد الاتجاهات الأخلاقية للطفل في هذه المرحلة العمرية من(9-12) سنة في ضوء الاتجاهات الأخلاقية السائدة في أسرته ومدرسته وبيئته الاجتماعية وهو يكتسبها من الكبار ويتعلمها منهم، ومع النمو يقرب السلوك الأخلاقي من سلوك الراشدين؛ حيث نلاحظ في هذه المرحلة أن الطفل يدرك مفاهيما أخلاقية مثل الأمانة والصدق والعدالة، وهنا يأتي أهمية سلوك الوالدين والمربين كنماذج يحتذيها الأطفال في سلوكهم.

وتتبلور القيم الأخلاقية والمبادئ الاجتماعية عند طفل الثامنة في التعامل مع الآخرين وهذا يستلزم وجود القدوة الحسنة والتي تتبلور في المعلم والأسرة

التطبيقات التربوية للنمو الخلقي:

- أن يكون الكبار قدوة صالحة ونموذجا للسلوك القويم.
- الاهتمام بالتربية الأخلاقية التي تقوم على المبادئ الأخلاقية في إطار التنشئة الاجتماعية.
- المعاملة المتوازنة داخل المنزل حتى يمكن للطفل القيام بمسؤولياته.
- ولكي تسير العملية التربوية بشكل صحيح لابد وأن تتوازن وتتكامل فيها كل الوسائل التربوية مع مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، فهناك من تكفيه الإشارة وهناك من تكفيه نظرة العتاب وهناك من ينصلح بالقدوة وهناك من يحفزه الثواب وهناك من يحتاج للعقاب. والمربى الناجح هو الذي يعرف متى وأين وكيف يستخدم هذه الوسائل.